مجلة "آفاق فكرية"

ص. ص. 388 - 403

رت م د: 2353 - 0367

رت م د إ: 2602-5507

المواطنة في ظل تطور وسائل الإعلام وتأثيراتها
ـ قراءة كرونولوجية ابتداء من القرن 20 ـ

Citizenship in light of the development of the media and its effects
- Chronological reading from the 20th century -

طا. با. هنان مكي [1]*، كوبيبي حفصة [2]

[1] جامعة عبد الحميد بن باديس بمستغانم (الجزائر)، مخبر الدراسات الإعلامية والاتصالية وتحليل الخطاب، mekki.henane.etu@univ-mosta.dz

[2] جامعة عبد الحميد بن باديس بمستغانم (الجزائر)، kobibi.h@hotmail.com

تاريخ الاستلام: 2022/01/10 تاريخ القبول: 2022/03/16 تاريخ النشر:2022/05/05

ملخص:

سنركز في هذه الورقة على مفهوم المواطنة الذي بدأ يتوغل داخل الدولة الحديثة في بداية القرن العشرين تزامنا مع ظهور وسائل الاتصال والإعلام الجماهيرية ، كما تطرقنا إلى مخرجات المواطنة في ظل تطور وسائل الإعلام وتأثيراتها عبر كل محطة تاريخية تشرح علاقة هذا المفهوم بوسائل الإعلام في إطارها الظاهر والخفي، مستخدمين المنهج الوصفي الذي يليق بهذا النوع من الدراسات والتي خلصت إلى أن مفهوم المواطنة هو مفهوم قد تحول طردا مع تطور وسائل الإعلام وتأثيراتها، كما توصلت الدراسة إلى مجموعة من التوصيات تدعوا فيها إلى ضرورة فهم وسائل الإعلام بمختلف أشكالها ، إلى جانب دفع الدولة وحرصها على التكيف وفقا للتطورات التكنولوجية الجديدة.

كلمات مفتاحية: المواطنة؛ الإعلام التقليدي؛ الإعلام الجديد؛ الدولة؛ التأثير.

Abstract :

In this paper, we are going to focus on the concept of citizenship, which starts to get into the modern state at the beginning of the twentieth century, coinciding with the appearance of mass media and communication.

As we dealt with citizenship outcomes in the light of media development and its effects through each historical station, which explains the relation of this concept with media in its apparent and hidden framework, using the descriptive approach that suits this type of studies, which resulted to the concept of citizenship that is the concept which becomes an expulsion with the development of media and its effects, as the study concluded that a set of recommendations ask for the need of understanding the media by its various forms, in addition to urging the state and to cope with the new technology development.

Keywords: Citizenship; traditional media; modern media; The state; effectiveness.

* المؤلف المرسل.

مقدمة:

اعتمدت المجتمعات عبر مختلف الفترات التاريخية على مؤسسات التنشئة الاجتماعية الكلاسيكية المعروفة (الأسرة، المؤسسات التربوية، المسجد...الخ) بهدف تمتين العلاقة بين الحاكم والمحكوم وتحقيق ما يصبو إليه المجتمع من استقرار ورقي في جميع مجالات الحياة وذلك من خلال تربية النشأ أو الأجيال على حب الوطن والتحلي بالأخلاق والسعي على خدمته بالمشاركة المجتمعية الحقيقية والمشاركة السياسية واقتصادية...، حيث أجمع الكثير من المفكرين والفلاسفة والباحثين على بلورة كل ما تسعى إليه هذه المجتمعات الدولية في مفهوم اصطلح على تسميته بالمواطنة، إن هذا الأخير في الحقيقة هو مفهوم متحول عرف عدة تغيرات جوهرية ارتبطت بالدرجة الأولى بتطور الفكر الإنساني، حيث يقصد به في المفهوم المعاصر أو في إطار الدولة الديمقراطية بأنه يعبر عن انتماء الإنسان إلى دولة إقليمية معينة ووجود علاقة اجتماعية بين الفرد والدولة التي تحكم بالحق والقانون وتكفل مبدأ العدالة والمساواة بين جميع مواطنيها ويقابلها في ذلك مشاركة واعية وفاعلة،في بناء الإطار الاجتماعي والسياسي والثقافي للدولة.

ولقد ارتكز نموذج الدولة الحديثة في عصر الحداثة على التقدم التقني والتكنولوجي ومخرجاته من خلال استخدامها لوسائل الإعلام والاعتماد عليها في تبليغ العديد من الرسائل للجمهور بحكم أن هذا الأخير ارتبط ارتباطا وثيقا بوسائل الإعلام فرضته جملة من التغيرات والظروف حيث أصبحت وسائل الإعلام تشكّل للفرد جزءا كبير من حياته لتلبية مختلف الحاجات وتحقيق الكثير من الاشباعات.

فمن هنا أصبحت وسائل الإعلام مؤسسة تنشئة مهمة بالنسبة للدولة لنشر ثقافة المواطنة للوصول وبلوغ الهدف المنشود الذي تتمناه كل دولة من تقوية العلاقة بين السلطة والشعب يعبر فيها هذا الأخير من خلال مجموعة من الواجبات تبرهن عن مدى الانتماء وحب الوطن، لكن في نهايات القرن العشرين وبداية القرن الواحد والعشرين شهدت الكثير من الدول وخاصة دول العالم الثالث نوعا من التغيرات والتحولات بفعل تطورات في تكنولوجيا الإعلام والاتصال على مستوى الوسائل والتقنيات جعلتها تنفلت نوعا ما من يد السلطة وأصبحت في يد الفرد يدخل عليها ما يشاء (مدخلات) وينشر عبرها ما يشاء (مخرجات) بفعل ما تتميز به وسائل الإعلام الجديدة من خصائص ومميزات (التفاعلية، الكونية...) ، هذا التطور السريع لوسائل الإعلام كان له تبعات وأثر كبير على مفهوم المواطنة مما أدى إلى إحداث الكثير من التحولات السياسية والاجتماعية في دول العالم.

فبناء على ما سلف ذكره يقودنا الفضول لمحاولة الكشف عن مفهوم المواطنة ومخرجاتها في ظل تطور وسائل الإعلام والاتصال الجماهيري بداية من القرن العشرين إلى غاية اليوم مركزين أيضا على انعكاسات كل محطة تاريخية أو فترة على الوضع السياسي والاجتماعي من خلال ربط تأثيرات هذه الوسائل وشرح مدى استغلالها ايجابيا وسلبيا من طرف مختلف مكونات المجتمع وبالضبط التركيز على طرفي العقد الاجتماعي (الحاكم والمحكوم) مستعينين بالقراءة المتعمقة وبالتحليل من المستوى الثاني لبعض الدراسات في هذا المجال مستخدمين المنهج الوصفي الذي يليق بهذا النوع من الدراسات، ومن هنا يمكننا طرح التساؤل الرئيس لهذه الدراسة وفقا لما يلي:

ما التغيرات التي طرأت على مفهوم المواطنة ومخرجاتها في ظل تطور وسائل الإعلام والاتصال الجماهيري وتأثيراتها بداية من القرن العشرين وما هي انعكاساتها على الأوضاع السياسية والاجتماعية عبر كل محطة أو فترة؟

تهدف هذه الورقة إلى الكشف عن مخرجات المواطنة من خلال معرفة مدى تحقق أبعاد هذا المفهوم في ظل تطور وسائل الإعلام منذ بروزها في مطلع القرن العشرين إلى غاية اليوم كما سنتطرق في هذه الورقة إلى الكشف عن تأثيرات وسائل الإعلام عبر كل محطة تاريخية من خلال شرح وتحليل وتفسير مدى استغلال هذه الأخيرة (الوسيلة و المضمون) من طرف مختلف مكونات المجتمع (الحاكم والمحكوم) لنشر ثقافة المواطنة .

وأما أهمية الورقة فإنها تصب في معرفة علاقة هذا المفهوم بمختلف وسائل الإعلام عبر محطات تاريخية أين عرف مفهوم المواطنة تحولات تزامنت طردا مع تطور وسائل الإعلام وتأثيراتها انعكست على الكثير من التغيرات داخل الدولة وخارجها.

الدراسات السابقة:

تم الاعتماد على دراسات وأبحاث علمية تناولت أحد أجزاء الموضوع للاستعانة بها وفقا لما تتضمنه من معارف ونتائج، **فالدراسة الأولى** لأبو العزم محمد عبد الظاهر بعنوان: "دور الإعلام في مواجهة قضية المواطنة"، نشرت بمجلة البحوث المالية والتجارية المجلد 22 العدد 2 سنة 2021 مصر، **أما الدراسة الثانية** فكانت لأمل عبد الفتاح شمس بعنوان: "التنشئة على المواطنة في ضوء التحديات الاقليمية والدولية –بحث على عينة من النشئ"، نشرت بمجلة كلية التربية الجزء الثالث العدد 25 سنة 2019 الأردن.

إن الدراسة الحالية، بالإضافة إلى اهتمامها بالعلاقة بين المواطنة ووسائل الإعلام ودور هذه الأخيرة في التنشئة على المواطنة وبناء المواطن وتوعيته في المجتمع وفقا لما أشارت إليه الدراستين السابقتين، اهتمت أيضا بتحول وتغير هذا المفهوم وفقا لتطور وسائل الإعلام وتأثيراتها عبر محطات تاريخية من خلال إبراز هذا المفهوم بالتركيز على طرفي العقد الاجتماعي (الحاكم والمحكوم).

1. تحديد المفاهيم الأساسية للبحث:

1.1. مفهوم المواطنة:

1.1.1. المواطنة لغة:

اشتقت من كلمة وطن، وهو مكان الإقامة الذي يعيش فيه الفرد سواء ولد به أو لم يولد،فصفة المواطن هي التي تحدد حقوقه وواجباته الوطنية. (أبو العزم ، 2021، ص.175).

2.1.1. المواطنة اصطلاحا:

هي عملية تهدف إلى تقوية العلاقة بين الفرد والبلد الذي ينتمي إليه، كما أنها تعمل على إعداد المواطن الصالح القادر على التعبير السليم عن هويته الحضارية وانتمائه الثقافي وولائه السياسي والمشاركة الفعالة في حماية الوطن والاعتزاز بتاريخه والافتخار بتراثه، والممارسة المتوازنة للحقوق والواجبات والحريات والمسؤوليات. (اللقاني والجمل، 2003، ص.ص.103-104).

المواطنة عند "جون جاك روسو" (Jean-Jacques Rousseau) في كتابه العقد الاجتماعي: "تعني المواطن الذي له حقوق إنسانية يجب أن تقدم إليه وهو في نفس الوقت يحمل مجموعة من المسؤوليات التي يلزم عليه تأديتها"، إذ تعبر محتويات العقد وبنوده وجود الكلّ السيادي الذي يلتف ويؤسس لدائرة القانون وللحق وللعدل (بن بوحة، 2017، ص.ص.275-276).

2.1. الإعلام التقليدي:

تتعدد التعريفات حول مصطلح "الإعلام التقليدي"، حيث أنه يستخدم الوسائل التقليدية في الممارسة الإعلامية والتي تخلو تماما من عنصر التفاعلية الآنية عكس "الميديا الجديدة".

3.1. الإعلام الجديد:

إن مصطلح الإعلام الجديد يصنع جدلا بين الباحثين والمهتمين بالدراسات الإعلامية حيث إذا رجعنا إلى أصل المصطلح المترجم من اللغة الإنجليزية في أصل الكلمة "**New Media** " أو أصل

الكلمة من اللغة الفرنسية والتي هي" **Nouveaux Media**" فإنها تعني الإعلام الجديد بالترجمة الحرفية إلى اللغة العربية، وعبارة الإعلام الجديد "التي شاعت خلال العقود الثلاث الماضية جاءت نتيجة انتقال الإعلام التقليدي بروافده المختلفة المكتوبة والمسموعة والمرئية، إلى مرحلة جديدة من مراحل تطوره بحكم الطفرة التكنولوجية التي طالت ميادين الإعلام والمعلومات والاتصال كافة،وانفجار الشبكة الرقمية وفي مقدمتها شبكة الانترنت" (الفار، 2014، ص.30).

4.1. التأثير:

1.4.1. التأثير لغة:

التأثير في اللغة هو إبقاء الأثر في الشيء، أثّر في الشيء معناه ترك فيه أثرا.

2.4.1. التأثير اصطلاحا:

يقصد بالتأثير في عملية الإعلام والاتصال، حدوث الاستجابة المستهدفة من هذه العملية والتي تتفق مع مفهوم الهدف من الاتصال أو وظيفته (الحميدان، 1426هـ، ص.248)، وكلمة أثر في الإعلام ترجع إلى أي نتائج يمكن أن تنجم عن عمل وسائل الإعلام والاتصال الجماهيري سواء في ذلك النتائج المقصودة أو غير المقصودة (جابر، 1998، ص.152)، حيث يمكن أن يكون الأثر آنيا أو يتجسد بصفة تدريجية عبر الزمن (عزي، 1992-1993، ص.ص.41-42)، ويقصد الباحث في هذه الورقة من عملية التأثير هو النتيجة أو المضمون الذي تتركه الوسيلة الإعلامية في ذهن المتلقي وانعكاسات ذلك على أفكاره واتجاهاته والعديد من جوانب حياته السياسية والاجتماعية...الخ.

2. مدخل حول تبلور مفهوم المواطنة وتطوره:

مرّ مفهوم المواطنة في إطار الدولة الحديثة، بتطور أفقي ورأسي، فهو ينشأ ويتطور، فالتطور الأول أفقي كان تدريجيا من خلال توسيع قاعدة المواطنة من الأقلية الأرستقراطية ليشمل الطبقات الأخرى بمرور الوقت أو الزمن، لكن من الناحية العملية لم تشمل المواطنة كل الأفراد إلى يومنا هذا، أما الثاني فهو التطور الرأسي أو العمودي للمفهوم الذي كان من خلال تطوره بشكل موازي لتطور المشاركة في صنع القرار السياسي وممارسة السلطة وتوسيع رقعتها، أين برز التحول التدريجي لسلطة اتخاذ القرار من يد شخص واحد إلى يد عامة المواطنين وفق الآليات الديمقراطية حيث يعتبر هذا التطور هو أبرز من الناحية التاريخية (السروجي، ص.46).

إن بوادر تبلور مفهوم المواطنة وبنائه في الحقيقة ارتبط ببروز الدولة الحديثة نتيجة الثورات المؤسسة للديمقراطية مثل الثورة الأمريكية والثورة الفرنسية التي أسّست لقيام دولة المؤسسات يكون فيها السلطة للشعب من خلال توزيعها إلى سلطات ثلاث تشريعية، تنفيذية وقضائية وتنظيم علاقة تعاون بينها وفق شرعية دستورية، وبهذا التحول برز مفهوم المواطنة في شكله المعاصر مستندا على فكر حقوق الإنسان والمواطن (الحرية والعدل والمساواة) والعودة لأن يكون الشعب مصدرا للسلطة ونتيجة ذلك ترسخ مبدأ المواطنة وتم إقراره كحق ثابت في الحياة السياسية ثم اتسع نطاق ممارسته كإحدى الركائز الأساسية للعملية الديمقراطية (مبارك، ص.153).

إن هذا المفهوم في بدايته تميز بالأبعاد القانونية والسياسية ثم انتقل إلى الأبعاد الأخرى الاجتماعية والاقتصادية والثقافية وبهذا يكتمل المفهوم الحقيقي للمواطنة وتحقيق معناه الشامل والمعروف اليوم عند مختلف مكونات المجتمع الدولي، (مبارك، ص.51) بإعتباره علاقة اجتماعية تقوم بين الفرد والدولة، تتحدد بالدستور وما جاء به من حقوق وواجبات، حيث تقدم الدولة الحماية السياسية والاجتماعية والاقتصادية للأفراد عن طريق القانون والدستور الذي يساوي بين الافراد، ويقدم الافراد الولاء للدولة الذي ينعكس في مشاركة عملية من أجل الصالح العام، كل ذلك يترجم في شكل مؤشرات حقيقية كاحترام القانون والنظام العام وضمان الحريات الفردية واحترام حقوق الانسان والتسامح وقبول الاخر و حرية التعبير و غيرها من المؤشرات.

ولقد أدركت الدولة الحديثة المعنى الحقيقي لهذا المفهوم فسعت إلى ترسيخه لدى الأفراد من خلال استغلال مختلف المؤسسات على رأسها مؤسسات التنشئة الاجتماعية، ابتداء من الأسرة إلى المؤسسات الدينية والتربوية ومؤسسات المجتمع المدني من جمعيات ومنظمات...الخ (طلال، ص.352) وفي طريق التوجه نحو استغلال الدولة لمختلف المؤسسات لنشر ثقافة المواطنة برزت في مطلع القرن العشرين وسائل الإعلام والاتصال الجماهيرية التي تنبهت لها الحكومات من خلال دورها وأهميتها كمؤسسة مؤثرة في الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية للأفراد من خلال قدرتها على نشر ثقافة المواطنة وقيمها الإنسانية والاجتماعية والخلقية وتبليغ العديد من الرسائل، فوسائل الإعلام تهدف إلى تنوير الرأي العام بمختلف الأحداث والمعلومات المتنوعة والأفكار والآراء والاتجاهات ونشر الكثير من الرسائل الهادفة لضمان استقرار المجتمعات ورقيها وتحقيق مختلف الأبعاد السياسية والاجتماعية والثقافية التي تهدف إليها المواطنة.

3. مخرجات المواطنة في ظل تطور وسائل الإعلام والاتصال الجماهيري و تأثيراتها (ابتداء من القرن 20 إلى غاية اليوم):

ويتناول هذا المحور محطات تكشف العلاقة بين المواطنة وتطور وسائل الإعلام في ظل تأثيرات هذه الأخيرة واستخدامها من طرف مختلف مكونات المجتمع قسمها الباحث وتناولها وفقا لما يلي:

1.3. المواطنة في ظل التأثير القوي لوسائل الاتصال والإعلام الجماهيرية التقليدية (في فترة النصف الأول من القرن 20):

في بدايات القرن العشرين تزامن بروز وتوجه العالم الغربي نحو استعمال و تبني التكنولوجيا التي مسّت جميع ميادين الحياة على رأسها استعمال وسائل الإعلام والاتصال الجماهيري، فالتطور التكنولوجي و التخصص في العمل و الرسمية في مجال العقود و المعاملات و الربحية إلى غير ذلك كان له مجموعة من المخرجات أثّرت على الفرد (العزلة وانعدام المشاعر والتحرر من الضوابط الاجتماعية) الذي توجه بدوره إلى متابعة وسائل الإعلام والارتباط بها واعتبارها كبديل عن العشيرة والأسرة والأصدقاء، فتشكلت علاقة وطيدة بين الجمهور ووسائل الإعلام، شبهها العديد من الباحثين بالإدمان على المخدرات، حيث استقطبت هذه الظاهرة بعض الباحثين في مجال علم النفس وعلم الاجتماع على رأسهم "هارولد لازويل" (**Harold Lasswell**) الذي توصل من خلال إسهاماته الامبريقية بأن تأثير وسائل الإعلام هو تأثير بالغ وقوي على عقول الجماهير التي تتميز بالضعف ولا تملك أي مقومات للحماية من تأثيراتها، إلى جانب ذلك كانت هناك مساهمة أخرى في هذا الشأن تتمثل في النظرية النقدية (مدرسة فرنكفورت) بريادة كل من "أدورنو، هوركهايمر، ماركوز" (**Adorno, Horkheimer, Marcuse**) والتي ترى بأن وسائل الإعلام تنتج صناعة ثقافية من خلال اعتبارها لوسائل الإعلام لا تخرج عن كونها أدوات إيديولوجية في يد السلطات الحاكمة تؤثر تأثيرا مباشرا على عقول الجماهير من خلال الكّم الهائل من المحتويات التي تقدمها والاستهلاك المكثف لها من طرف الجماهير (عبادة وأهناني، 2017، ص.188)، فعندما نربط وسائل الإعلام وتأثيراتها مع مفهوم المواطنة في ظل الدولة الحديثة وبالضبط خلال هذه الفترة نجد بأن والسلطة في العديد من الدول على رأسها الدول الرأسمالية قد استغلت وسائل الإعلام التقليدية وتميزها بالتدفق الأحادي للمعلومات للتأثير على الجماهير في أفكارهم وأراءهم واتجاهاتهم ثم في سلوكياتهم وهنا كانت وسائل الإعلام تؤدي وظيفتها بالشكل الذي تحبذه السلطة من خلال نشر ثقافة المواطنة

وأبعادها عبر مختلف وسائل الإعلام الجماهيرية خاصة الصحف والسينما والإذاعة التي لعبت دورا كبيرا في ربط المواطن بالوطن، من خلال برامج تاريخية و ثقافية وطّدت العلاقة ومتّنت روح الانتماء للوطن والشعور به، ومن هنا يمكن القول بأن السلطة كانت تتحكم في زمام الأمور وكان كل شيء يسير وفق الضوابط والأهداف المسطرة تحت شعار وراية بناء الدولة القومية، فهذه الأخيرة آمنت بأن التوجيه الثقافي ينشأ من خلال غرس مفهوم الثقافة المادية والمعنوية في الناشئة وهذه الثقافة هي التي تميز شعبا عن آخر وتثبت الخصوصية، كما أن التوجيه الاجتماعي في رأيها لا ينبع بالضرورة من خلال التوجيه الاجتماعي المباشر والمقصود المعتمد على مؤسسات التنشئة الاجتماعية الكلاسيكية المعروفة، فهنا تفطنت الدولة الحديثة لأهمية الإعلام ودوره المؤثر كونه تقع على عاتقه مسؤولية الإخبار والتوجيه والتوعية والتثقيف والترفيه، إضافة إلى أن كون الإعلام يحتاج إلى المجتمع ومكوناته المختلفة، باعتبارها أجزاء تكّمله لتحقيق أهدافه وغاياته لضمان استمراريته (طلال، ص.360)، لذا فمنابر الإعلام في الصحافة والإذاعة وسينما هي برلمانات يومية تبرز فيها وجهات نظر متعددة وتستعرض فيها اهتمامات في مجالات كثيرة من أهمها تبليغ رسائل التي تمتن العلاقة بين السلطة ومواطنيها في مختلف مجالات الحياة، من خلال ربط المواطن بوطنه وتنمية الشعور بالانتماء والولاء إلى هذا الوطن الذي لا يمكن أن يرقى إلا بمساهمة مكونه الأساسي آلا وهو الشعب في تحقيق الأبعاد المطلوبة منه كالمشاركة السياسية والمشاركة المجتمعية والمشاركة الإنسانية والاقتصادية وحتى الثقافية، ومنه إلى تحقيق مؤشرات حقيقية من خلال مساهمة الفرد في الانتخاب والترشح في مختلف المحطات الانتخابية وتكوين الأحزاب السياسية والجمعيات والمنظمات، إلى جانب تفعيل المشاركة المجتمعية من خلال التضامن بين الأفراد والأسر ونشر ثقافة التعاون والتطوع وتقديم المساعدات الاقتصادية والصحية، إضافة إلى السعي في الاستثمار الذي ينتج عنه ترقية الاقتصاد الوطني ومنه يمكن خلق مناصب مالية التي تستفيد منها الكثير من العائلات، دون أن ننسى بعض المؤشرات الإنسانية التي تدعو إلى احترام الآخر وحريته واحترام الديانات والخصوصيات واحترام الاختلاف ...الخ، وبالتالي فإن كل ما تم الإشارة إليه من أبعاد ومؤشرات سالفا أجمع عليه الكثير من الباحثين والفلاسفة من خلال لملمته في مصطلح جامع أطلق عليه بالمواطنة في ظل الدولة الحديثة حيث تناسب ظهور هذا المصطلح مع بروز وسائل الاتصال والإعلام الجماهيرية، ومن هنا كان للدولة الحديثة يد في استغلال هذه الوسائل منذ ظهورها لغرس

ونشر ثقافة هذا المفهوم الجامع (المواطنة) الذي تطور بتطور وسائل الإعلام، حيث كان له العديد من المخرجات أحدثت الكثير من التحولات السياسية والاجتماعية.

فمن خلال ما سلف ذكره لا يمكن أن ننكر أبدا مساهمة وسائل الإعلام كمؤسسة من مؤسسات التنشئة الاجتماعية في هذه الفترة وما قدمته من خدمة لنشر ثقافة المواطنة وأبعادها السياسية والاجتماعية والاقتصادية، للحفاظ على الدولة من خلال ربط المواطن بالوطن عبر بعث وبث رسائل تكشف الغموض وتوجه الجمهور نحو الوجهة الصحيحة، كما تقوم على توعيته وتوضح له ما له (حقوق) وما عليه (واجبات)، ولكن في نفس الوقت لاحظنا أن نفس الدول استغلت وسائل الإعلام في هذه الفترة وتدفقها الأحادي أي من جانب واحد للتأثير على الجماهير واستغلالها في جميع المجالات السياسية والاجتماعية والاقتصادية لتحقيق العديد من الغايات والأهداف الخبيثة باسم مفهوم المواطنة واللّعب على أوتاره (خاصة الدول الرأسمالية).

2.3. المواطنة ووسائل الاتصال والإعلام الجماهيرية التقليدية في النصف الثاني من القرن 20:

لقد أعطت دراسة "ويرنر" و"تانكرد" (**Werner & Tankard**) في فترة الثلاثينيات دفعا قويا للبحث في أنواع الاحتياجات التي يحققها استخدام وسائل الإعلام من خلال الدراسات العديدة التي أجريت في هذا المنظور على: قراءة الكتب، ومسلسلات الراديو، والصحف اليومية، والموسيقى الشعبية، وأفلام السينما وذلك للتعرف على أسباب استخدام الناس لوسائل الإعلام (مكاوي والسيد، 1998، ص.240)، ليفتح هذا الطرح الجديد في فترة الأربعينيات والخمسينيات الكثير من الأبحاث والمعلومات حول استخدامات وسائل الإعلام والإشباعات التي كان لها أثرا كبيرا في دفع النقاش إلى الأمام من خلال المشاركة الفعالة من جانب الجمهور في متابعة وسائل الإعلام التقليدية على رأسها مشاهدة برامج التلفزيون في هذه الفترة لإشباع رغباته وتلبية حاجاته انطلاقا من اختياره (عبادة وأهناني، 2017، ص.ص.188-189)، ومن هنا أصبح يُنظر إلى الجمهور بأنه ايجابي وليس سلبي في استعمال وسائل الإعلام وخاصة في هذه الفترة التي تم فيها اكتشاف وبروز التلفزيون الذي استقطب العديد من الجماهير لما يتميز به من خصائص تتمثل في جمعه بين الصوت والصورة والتحكم النسبي في محتوياته، أين شكّل التلفزيون اهتمام كبير لدى كافة مكونات المجتمع، حيث أصبح من الأدوات الفاعلة في نشر ثقافة المواطنة وأبعادها فعلى مستوى البعد السياسي مثلا اعتبر التلفزيون إحدى وكالات التنشئة السياسية، ذلك أن الكّم الكبير من المعلومات والمعارف التي يحصل عليها أفراد المجتمع من كل ما يتعلق بالجانب السياسي يأتي من خلال هذه

الوسيلة التي ساهمت على تعزيز مبادئ الديمقراطية بإتاحة الفرصة للنخبة الفكرية والثقافية لإبداء رأيها بشأن مجريات السياسية والدفاع عن حرية الرأي والتعبير ومتابعة الأداء الحكومي وتصحيح المسار الديمقراطي (الفلاجي، 2014، ص.131)، أما على المستوى الاجتماعي فقد كانت لوسائل الإعلام على رأسها التلفزيون في هذه الفترة دور كبير في تربية النشء على المشاركة المجتمعية من خلال عرض أمثلة ناجحة وبث برامج هادفة تدعو إلى التضامن والتعاون والتكافل بين المواطنين خاصة أثناء فترة الأزمات، وفي السياق ذاته فقد ساهمت هذه الوسائل خلال هذه الفترة في توعية الجماهير في مختلف المجالات حيث تحقق ذلك في المجال الصحي من خلال مرافقة المواطن وتوجيهه عبر بث برامج وإعلانات إرشادية وتوجيهية لتجنب مختلف المخاطر الصحية، هذا ولا يمكن إنكار ما قدمته هذه الوسائل في المجال التعليمي والتثقيفي كأبعاد مهمة ساهمت في توسيع وعي الجماهير واطلاعه مختلف الثقافات واحترام تنوعها.

إن ما تم الإشارة إليه سالفا ترجم لنا ذلك الدور الايجابي المهم لوسائل الإعلام التقليدية على رأسها التلفزيون في تعزيز قيم المواطنة وأبعادها في المجتمعات، لكن هذا لا يمنع من الإشارة إلى الجانب الآخر الغير الظاهر الذي يوضح مدى استغلال وسائل الإعلام التقليدية في مقدمتها التلفزيون باعتباره وسيلة إعلام ثقيلة استخدمته الكثير من الدول لنشر أفكارها وأيديولوجياتها من خلال اللّعب على وتر مفهوم المواطنة، فبعد الانتهاء من الحرب العالمية الثانية بقي التنافس بين المعسكرين الشرقي والغربي مستمرا على أشدّه بهدف محاولة سيادة العالم تحت مسمى الحرب الباردة التي استخدم فيها المعسكرين كل الوسائل ما عدا السلاح، أين تم استغلال وسائل الإعلام في تلك الفترة لممارسة الدعاية للحفاظ على المكاسب ونشر الأفكار التي تخدم خططها لسيادة العالم، وفي السياق ذاته هناك دول أخرى حديثة الاستقلال استغلت وسائل الإعلام بحجة خدمة التنمية داخل الدولة القومية، ولعل أكبر دليل عن ما تم الإشارة إليه سالفا هو تلك الأبحاث التي برزت خلال فترة السبعينيات على رأسها نظرية الغرس الثقافي لرائدها العالم البريطاني "جورج جيربنر" (George Gerbner) برهن فيها أن وسائل الإعلام الجماهيرية ومنها التلفزيون يخلق لمشاهديه على المدى الطويل واقعا خاصا مختلف عن الواقع الحقيقي وأن المشاهدين بحكم التصاقهم ببرامجه يصفون هذا الواقع ويتعاملون معه باعتباره حقيقة فيما بعد، وترتكز النظرية في بناء افتراضاتها على مفهوم الاتجاه السائد الذي هو عبارة عن نسيج من المعتقدات والقيم والممارسات التي تقدمها وسائل الإعلام في صور مختلفة، ويتوحد معها كثيفو المشاهدة ولا تظهر

بينهم الفروق كبيرة في اكتساب هذه الصور أو الأفكار بشكل يجعل الفوارق تقل أو تختفي بين الجماعات ذات الخصائص المتباينة، حيث ومن خلال هذه الدراسة يتبين لنا الطرح الذي تبنته الكثير من الدول في هذه الفترة من خلال استحواذها على وسائل الإعلام وبالأخص الثقيلة منها كالتلفزيون لغرس ما تريد في الجماهير من قيم ومعتقدات ترقى بفكر المواطنة والحصول على مواطن ملتزم وفقا لما تمليه السلطة أو النظام دون أن يشعر المواطن بذلك.

إن هذه المرحلة وبالرغم من تميزها باكتشاف تراجع تأثير وسائل الإعلام بحكم أن الفرد أصبح إيجابي في استعمال وسائل الإعلام، إلّا أن بروز وسيلة الإعلامية المتمثلة في التلفزيون وما يتميز به من خصائص ومميزات جعله يستقطب الكثير من الجماهير مما سهّل على مختلف الدول وحكوماتها في هذه الفترة التواصل مع مواطنيها لتبليغ الكثير من رسائلها على رأسها نشر ثقافة المواطنة وأبعادها التي تعزّزت قيّمها لصالح النظام أو السلطة داخل الدولة كطرف على حساب الطرف الثاني المتمثل في المواطن الذي خُلق وصُنع له العيش في واقع آخر غير الواقع الحقيقي، من خلال إيهامه بأنه مواطن حرّ ويتمتع بالعديد من الحقوق وبالتالي هو مطالب بالقيام بواجباته اتجاه الوطن، في حين أن الحقيقة المرّة أن هذه المرحلة شكّلت امتداد للمرحلة الأولى للعب بعقول الجماهير بطريقة ذكية وخبيثة فضحتها أبحاث "جورج جيربنر" من خلال دراسته ونظريته "نظرية الغرس الثقافي"،ليتم بعد عقود من الزمن (بروز وسائل الإعلام الجديدة) اكتشاف أن مفهوم المواطنة قد كان مزيفا في كثير من الدول لشراء السّلم الاجتماعي للحفاظ على مصالح بعض الفئات والبقاء في السلطة.

3.3. المواطنة والإعلام الجديد (ابتداء من أواخر القرن العشرين إلى غاية اليوم):

إن التطور التكنولوجي في هذه الفترة لوسائل الإعلام والاتصال تولّد عنه تدفق هائل للمعلومات وتشكّل علاقات بين المرسل والمستقبل تتجاوز نمط العلاقة ذات الاتجاه الواحد، حيث وبفضل ميزات التفاعلية والسرعة والنفاذ وتعدد الوسائط والكونية ...الخ، أصبح بمقدور الفرد أن يكون منتجا ومستقبلا في نفس الوقت وهذا ما يسميه مانويل كاستلز (Manuel Castells) بـ"ذاتية وسائل الاتصال الجماهيري"(النجار، 2013، ص.328)، الأمر الذي يدلل على أن الثورة التكنولوجية أو الثورة الرقمية قد أفرزت حالة اجتماعية واقتصادية وسياسية وثقافية جديدة،مسّتها العديد من التغيرات قادت وتقود إلى عالم بدون قيود، فحقيقة إنها حالة لم يعد فيها العالم كما كان منذ حقب زمنية بعيدة أو قريبة، حيث يقول في هذا الصدد بارلو فرير: "إننا في

عالم يقع خارج سلطة الدولة" (النجار، 2013، ص.318)، حيث كسر الانترنت ومخرجاته رقابة الدولة وهيمنتها على الإعلام وتم الحكم عن انهيار عهد تحديد ما يشاهده ويسمعه ويقرأه الجمهور (هويدي وفرحات ،ص.7)،فالديمقراطية المشّوهة التي تمخض عنها فئة في هرم السلطة تستفيد من كل شيء وفئة واسعة عليها القيام بكل شيء مع محدودية في الاستفادة تسبب في وقوع خلل داخل مفهوم المواطنة المبني على العقد الاجتماعي عند جون جاك روسو أين أصبح المواطن مُطالب بالواجب و مهضوم في حقه،فكان هذا كله دافعا قويا لجعل أغلب الأفراد ينخرطون في استخدام مواقع التواصل الاجتماعي باعتبارها ملاذا للتعبير على غضبهم ونقمهم ونفورهم من الدولة المتسلطة (كرايس وآخرون، 2019، ص.ص.21-22)، والتعبير عن رأيهم بكل حرية والمطالبة بالحقوق والإصلاحات حيث أصبح الإعلام الجديد مجال للممارسة السياسية ومنبر للمطالب الاجتماعية (المهدى)، استغلته الدول المتقدمة لتصحيح الكثير من الأخطاء (مثل الدول الأوروبية) مع مواطنيها من خلال الاستماع إلى إليهم وفتح باب الحوار ومن ثم تصحيح المسار السياسي والاجتماعي من خلال احترام الطرف الأول ممثلا في السلطة للعقد الاجتماعي المولد لمفهوم المواطنة الحقيقي، حيث تم في فترة قصيرة جدا تحقيق الكثير من المطالب والأهداف التي كان يسعى المواطن إلى تحقيقها مثل الحق في السكن والصحة والتعليم والعمل والعيش الكريم والمساواة والعدالة ...الخ، مما نتج نوعا من الرضا والتوافق من الطرف الثاني ممثلا في المواطن الغربي الذي أصبح يقابل الحقوق بواجبات ميدانية في الواقع وعبر اللاواقع (الفضاء الافتراضي) من خلال المساهمة في رقي الدولة التي تجسدت في المشاركة السياسية والحث عليها (الانتخاب والترشح في الانتخابات والمساهمة في إنجاحها) والمشاركة المجتمعية من خلال القيام بالأعمال التطوعية والتضامنية واحترام الآخر واحترام الأديان والتنوع الثقافي...الخ، لتتجسد بعد ذلك الكثير من صور المواطنة في هذه الدول.

وفي المقابل هناك دولا استهانت (مثل الدول العربية) بالميديا الجديدة ومخرجاتها، فكان سببا في سقوط رؤسائها وحكوماتها التي اعتمدت على سياستها الأولى في استغلال وسائل الإعلام، لتنفيذ أجندتها والمحافظة على مصالحها من خلال محاولة قطع الطريق أمام ولوج هذه التكنولوجيا الحديثة والمتطورة لوسائل الإعلام داخل الدولة بحجة مسألة الهوية والخصوصية ومشكل العولمة والاغتراب وأخطار هذه الوسائل، لكن أمام مرور السنون فعلت الضغوطات الداخلية والخارجية والحتمية التكنولوجية فعلتها وانخرط الكثير من شباب هذه الدول في منظومة الميديا الجديدة

وأصبح يعبّر ويغرّد خارج أسوار الدولة المتسلطة من خلال التعبير عن أفكاره وأراءه ومنه المطالبة بحقوقه والتفاعل والتواصل عبر اللاواقع (الفضاء الافتراضي) ثم الانتقال إلى الواقع والتعبير عن مطالبه عبر مسيرات والتمرد في أي لحظة من اللحظات ولعل أبرز أمثلة في هذا الشأن هو الربيع العربي 2011 والحراك الشعبي الجزائري 2019، وهنا يتبين أن مفهوم المواطنة في دول العالم الثالث كانت مجسّدة من طرف واحد (المواطن) وفاقدة للكثير من حلقاتها من طرف السلطة أو النظام ،لذا شاب هذا العقد الاجتماعي الذي أشار إليه جون جاك روسو العديد من الشوائب والأخطاء التي كانت في كثير من المحطات متعمدة من طرف النظام أو السلطة في هذه الدول التي فقدت الثقة من طرف المواطن الذي أصبح لا يؤمن بفكر المواطنة في ظل هضم الكثير من حقوقه.

إن الميديا الجديدة (الإعلام الجديد) وبصفتها أكبر وأهم فاعل تكنولوجي في العصر الحديث نسفت كل ما هو تقليدي واستحدثت معايير جديدة للتواصل البشري خلق الكثير من الفرص لتحقيق أبعاد المواطنة ومؤشراتها وفي نفس الوقت شكّل نوع من المخاطر والتخوفات لدى الدولة من ناحية استخدام المواطن للعديد من الوسائل الإعلامية الجديدة و المتنوعة فالأولى (الفرص) تمثلت في خلق فرص للفاعلين من خلال التعبير عن الرأي وخلق نوع من الحوار و التواصل المستمر بين المستخدمين وأصدقائهم، إضافة إلى مشاركة المستخدم في بناء محتواه وتعديله الذي أضفى نوع من النشاط والمشاركة الفاعلة انعكس على حصوله العديد من الحقوق المدنية مثل حرية التعبير والحوار والانضمام إلى منظمات المجتمع المدني والأحزاب السياسية أما الثانية (المخاطر) فقد تمثلت في توجه المستخدم نحو المطالبة بالمواطنة العالمية الذي من شأنه قد يخلق ويكّون عقلية عامة وثقافة متلقية تسعى إلى إلغاء الخصوصية الثقافية وطمس الهوية المحلية إضافة إلى إفراغ الأفراد من القيم الأخلاقية والتربوية من خلال العولمة التي تتستر وراء مسمى المواطنة العالمية، هذا الأخير الذي أصبح مطلبا بديلا بالنسبة للمواطن الرقمي الذي فقد الثقة في الدولة من خلال تحقيق مفهوم المواطنة الحقيقي الذي يوازن بين الحقوق والوجبات، حيث ارتكز واستند هذا المنحى والتوجه العالمي لإرساء مبدأ المواطنة العالمية على ركيزتين:

الأولى/ عالمية التحديات: نضال المواطن بشكل عالمي من خلال حماية الأجيال المقبلة من الحرب والفقر والظلم والأحادية الثقافية...الخ.

الثانية/ أن هناك مجتمعات ذات ديانات وثقافات وأعراف وتقاليد ونظم مختلفة تسعى إلى تأسيس مصطلح جديد في الخطاب المعاصر هو المواطنة العالمية (السروجي، ص.ص.47-48).

وأمام هذه المواصفات التي تتميز بها المواطنة العالمية وركائزها تبقى وسائل الإعلام الجديدة ومخرجاتها هي الركيزة الأساسية في ضمان التواصل وتقريب المسافات لتحقيق هذا النضال العالمي التشاركي للمواطن إلا أن المواطنة بمفهومها العالمي لا يمكنها أن تنسخ أو تمسح المواطنة بمفهومها القومي لأن هذه الأخيرة هي الأصل لأنها تعبر عن الانتماء والولاء والارتباط بالأرض.

4. نتائج الدراسة:

- هناك علاقة ارتباطية تاريخية وطيدة بين وسائل الإعلام ومفهوم المواطنة الذي تأثر بواسطة وسائل الإعلام وتطورها ومختلف تأثيراتها.
- تعتبر وسائل الإعلام جزء من البناء المجتمعي والذي لا يمكن الاستهانة به لضمان التقدم والرقي الإنساني فهي قد تساهم في نشر فكر واعي وقيم راقية كما يمكنها أن تنشر عكس ذلك.
- هناك تأثير فعال لوسائل الإعلام في كل حقبة زمنية معينة مسّ أفكار واتجاهات وآراء وسلوكات المواطن انعكس ذلك على علاقة الحاكم بالمحكوم وبالتالي على تحول مفهوم المواطنة.

خاتمة:

إن حقيقة تبلور مفهوم المواطنة هو بالدرجة الأولى سياسي اجتماعي ثقافي متطور من محطة إلى أخرى ومن مجتمع إلى آخر، مرّ بتحولات جوهرية عبر التاريخ بدءا من التراث اليوناني إلى العصر الوسيط وأخيرا الحديث والمعاصر أين ارتبط هذا المفهوم بوسائل الإعلام والاتصال التقليدية والجديدة كمخرجات للتحول والتطور التكنولوجي الذي شهده العالم ابتداء من القرن العشرين عزّزت من قيمته وأبعاده وسهّلت التواصل بين مختلف مكونات المجتمع (حاكم ومحكوم) لتبليغ العديد من الرسائل التي تحتويه وتشّكل جزءا منه، لكن في نفس الوقت أُستغلت هذه الوسائل الإعلامية في جانبها التقليدي لعقود من الزمن لنشر ثقافة المواطنة المزيفة والعرجاء من خلال اللّعب بعقول الجماهير وإيهامهم من طرف العديد من الدول (ممثلة في السلطة) التي ركّزت على واجبات والتزامات المواطن دون أن تراعي حقوقه، ليتفطن هذا الأخير في أقوى محطات التطور التكنولوجي في مقدمتها المجال الإعلامي أين أصبح فيها الأفراد كتلة شعبية وطنية و عالمية من خلال استخدام وسائل الإعلام الجديدة للمطالبة بتصحيح مفهوم المواطنة في ظل الدولة القومية أو التعاقدية القائمة على أساس العدالة والمساواة والحقوق والواجبات وفقا لما أشار إليه "جون جاك

روسو"، بل والأكثر من ذلك فقد ساعدت خصائص ومخرجات الميديا الجديدة إلى التصعيد نحو المطالبة بالمواطنة المتعددة الثقافات التي تتجسد في ظل مواطنة كونية قادرة على استيعاب هذا التعدد الثقافي القومي على حدّ قول العالم "ويل كميلكا" (Will Kymlicka).

وعليه فإنه من خلال ما سبق التطرق إليه يمكننا طرح جملة من التوصيات الآتية:

- أن استخدام وسائل الإعلام بمختلف أشكالها يفرض على الدولة والمواطن ضرورة فهم وسائل الإعلام وعلاقتها بالمواطنة تاريخيا للكشف عن الآليات والفرص المتاحة لتهذيب خطابها.
- ضرورة تكيف الدولة مع التطورات التكنولوجية الجديدة واستغلالها لمد جسر التواصل مع المواطن لتحقيق الكثير من الأبعاد المواطنة.
- التأكيد على التربية الإعلامية في مختلف المؤسسات التنشئة الاجتماعية على رأسها وسائل الإعلام من خلال توجيه الأفراد في كيفية التعامل معها واستخدامها لمصلحة البلاد والعباد.

قائمة المصادر والمراجع:

1. أحمد، بن بوحة. (2017). المواطنة والمصلحة العامة في الدولة الحديثة" العقد الاجتماعي عند جون جاك روسو نموذجا ". *مجلة الإناسة وعلوم المجتمع*(02)، 275-276.
2. الجيلالي، كرايس، وآخرون. (2019). دور مواقع التواصل الاجتماعي في حراك 22 فبراير –الفايسبوك من التنظير والتأطير إلى الموافقة والاستشراف. *مجلة الدراسات الإعلامية، 01*(08)، 21-22.
3. الفار، ج .م .(2014) .*معجم المصطلحات الإعلامية، أول معجم شامل في كل المصطلحات الإعلامية المتداولة في العالم وتعريفاتها* .عمان ,الأردن :دار أسامة للنشر والتوزيع.
4. عبد الباسط، هويدي، و حاج قاسم فرحات . (بلا تاريخ). الملتقى الدولي حول الإعلام المحلي في الجزائر التحديات المعاصرة ورهانات المستقبل. *شبكات التواصل الاجتماعي و أثرها على الممارسة الإعلامية التقليدية في تغطية الحراك الاجتماعي الجزائري*، (صفحة 07). الجزائر.
5. نوردين، مبني، و عائشة، لصلح . (2015). المواطنة الرقمية : عندما تصبح مواقع التواصل الاجتماعي فضاء للنقاش العمومي. *مجلة وحدة البحث تنمية الموارد البشرية*، 330.
6. إبراهيم بن صالح، الحميدان. (محرم, 1426ه). " الإقناع و التأثير"،دراسة تأصيلية دعوية. *مجلة جامعة الإمام* (49)، 248.
7. أحمد حسن، اللقاني، وعلي أحمد، الجمل. (2003). *معجم المصطلحات التربوية المعروفة في المناهج وطرق التدريس*. القاهرة: عالم الكتب.
8. أماني، المهدى. (بلا تاريخ). *المجال العام من الواقع الفعلي إلى العالم الافتراضي : معايير التشكل و المعوقات*. تاريخ الاسترداد 2018، من ورقة بحثية منشورة بالمركز الديمقراطي العربي: http://democraticac.de/?p=53184
9. باقر، النجار. (2013). *الفضاء السيبراني و تحولات القيم في الإعلام و تشكيل الرأي العام وصناعة القيم*. (عبد الإله بلقزيز، المحرر) بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
10. حسن عماد، مكاوي، و ليلى حسن، السيد. (1998). *الاتصال ونظرياته المعاصرة*. القاهرة، مصر: الدار المصرية اللبنانية.
11. حسين علي، الفلاجي. (2014). *الإعلام التقليدي و الإعلام الجديد* (الإصدار 01). العراق: دار غيداء للنشر والتوزيع.
12. سامية محمد، جابر. (1998). *الاتصال الجماهيري و المجتمع الحديث النظرية و التطبيق* . القاهرة، مصر: دار المعرف الجامعية.

13. طلعت مصطفى، السروجي. (بلا تاريخ). المواطنة العالمية : قراءة جديدة لعالم جديد. *مجلة كلية الخدمة الاجتماعية للدراسات والبحوث الاجتماعية*، 46.

14. عبد الرحمن، عزي. (1992-1993). أثر الوسائل السمعية البصرية عل نظام القيم ، أنماط الاستهلاك في المجتمع الريفي الوسيطي . *مجلة علمية بحوث*(01)، 41-42.

15. عون، طلال. (بلا تاريخ). وسائل الإعلام وترسيخ قيم المواطنة. *مجلة العلوم الاجتماعية و الإنسانية*(10)، 352.

16. محمد عبد الطاهر، أبو العزم . (2021). دور الإعلام في مواجهة قضية المواطنة. *مجلة البحوث المالية و لتجارية*، *22*(02)، 175.

17. نور الهدى، عبادة ، وفاروق، أهناني. (2017). تطور مقاربات و أبحاث جمهور وسائل الإعلام و الاتصال. *مجلة مدارات سياسية*، *01*(01)، 188.

18. وليد، مبارك. (بلا تاريخ). *المفهوم المعاصر للمواطنة*. دمشق، سوريا: دار دمشق.

كيفية الاستشهاد بهذا المقال وفق نظام توثيق الجمعية الأمريكية لعلم النفس APA الإصدار السابع (7):

هنان مكي ، كوبيبي حفصة. (2022). المواطنة في ظل تطور وسائل الإعلام وتأثيراتها -قراءة كرونولوجية ابتداء من القرن 20 -. *افاق فكرية*، سيدي بلعباس (الجزائر)، *10* (1)، ص ص 388-403. ؛ رابط المجلة https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/396